وثائق حفر قناة السويس

محمد أبو شادي*

مـن أجمـل مشـاهد فيلـم «نـاصر٥٦» عندمـا ذهبـت «أم مصطفـي» لمقابلـة جـمال عبـد النـاصر، وهـي تحمـل ملابـس جدهـا، وقالـت له:»اليـوم أخـدت بثـأر جـدي»، وهـو مواطـن مـصري بسـيط مـات ضمـن عـشرات الآلاف الذيـن ماتـوا أثنـاء حفـر قنـاة السـويس في ظـروف قاسـية أقـرب للسـخرة، وسـقط منهـم مـن سـقط، ولم يعـرف أهاليهـم إلي مـن يشـكون وممـن يأخـذون حقوقهـم ! ..هـذه الفلاحـة أتي بهـا المؤلـف والكاتـب العظيـم محفـوظ عبـد الرحمـن، ليجسـد مـن خلالهـا شـعور المصريـين تجـاه قـرار جـمال عبـد النـاصر بتأميـم قنـاة السـويس كشركـة مسـاهمة مصريـة، تجسـيدا لإرادة شـعب وقـف أمـام قـوي غاشـمة بـإصرار وشـجاعة قائـد يقـوده نحـو الحريـة والكرامـة.

وقبـل عامـين ونصـف تقريبـا كنـت عـلي موعـد مـع الأسـتاذ محفـوظ عبـد الرحمـن، لأنقـل لـه فكـرتي عـن تكريـم ١٢٠ ألـف مـصري استشـهدوا أثنـاء حفـر قنـاة السـويس قبـل ١٤٠ عاما..وكان»بوابـة الحلـواني» المسلسـل الوحيـد الـذي أشـار وتنـاول دراميـا هـذه الملحمـة

كاتب صحفي، نشر بمجلة الإذاعة والتليفزيون بتاريخ ٢٦ أغسطس ٢٠١٧.

obeikan.com

بأجزائه الثلاثة في بداية التسعينات من القرن الماضي ..وقال لي الكاتب الراحل: في عام ١٩٦٣ كنت موظفا في دار الوثائق القومية، وكان مقرها في بدروم بقصر عابدين من ناحية مسجد حسن الأكبر، وذات مرة(اتكعبلت) في أحد الملفات المركونة بجوار الحائط، فتبعثرت منه أوراق كثيرة، فمددت يدي لأجمعها مرة أخري، فإذا بها ترجمة لوثائق فرنسية وتركية عن الحياة اليومية لحفر قناة السويس، وظل هذا الموضوع في دماغي لا يفارقني، ووقتها كنت شابا صغيرا متخرجا حديثا، ولم أتجه لكتابة الدراما بعد. إلي أن اختمرت الفكرة وقررت تجسيد هذه الملحمة بعد هذا الموقف بثلاثة عقود، لأن عدد الذين استشهدوا كانوا ١٢٠ ألف، وهو رقم كبير، خصوصا أن عدد سكان مصر قتها لم يتجاوز الأربعة ملايين نسمة. وهؤلاء البسطاء لم يكونوا يدركون حجم وأهمية العمل الذين يقومون به، فقد أطلقوا علي القناة لفظ(ترعة). وذهبت لدار الوثائق في مكانها علي كورنيش النيل، وسألت عن الوثائق التي شاهدتها بعيني ورأيتها وأمسكتها بيدي، فقالوا لي إنها موجودة، فطلبت الإطلاع عليها، وعلي مدار ثلاثة شهور لم أصل لشيئ. وكل مرة أجد (حجة شكل)..فصرفت النظر عن موضوع الوثائق ، واعتمدت علي مراجع أخري».

انتهت شهادة محفوظ عبد الرحمن، ولكن لم تنته القصة، فمازالت قاعدة تمثال ديليسبس موجودة في مدخل القناة الشمالي ،

وعلي هيئة قناة السويس أن تدعو فنانينا لعمل تمثال يجسد هذا الفلاح المصري الذي اختلطت دماؤه وعرقه برمل القناة، وأن يكون هناك بحث وتنقيب عن الوثائق التي تسجل يوميات العمل في حفر القناة، ونعرف أسماء هؤلاء الشهداء ويتم تكريمهم بما يليق من الدولة.

obeikan.com

obeikan.com